EK- *EL-YÂKÛTETU'L-HAMRÂ'* RİSÂLESİNİN TAHKİKLİ NEŞRİ

الياقوتة الحمراء[112]

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهمّ إنّك أنت الوليّ الحميد، وأنت العليّ الكبير الذي تحكم بعزّتك ما تشاء وما تريد، على ما هديتنا به إلى الحقّ والصّواب بالنّهج السّديد، ونصلّي على من أمرته بالتّذكير بقولك ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق، 45/50] سيّدنا ومولانا محمّد شمس سماء الرّسالة والنّبوّة والتّوحيد الذي بشّر أهل السّعادة من أهل التّسبيح والتّهليل والتّمجيد بالثّواب الجزيل والفوز العظيم يوم يقول الحقّ ولدينا مزيد (اقتباس من سورة ق آية 35) وآله وصحبه نجوم الهداية لمن يطلبها بالصّدق ويزيد. أمّا بعد، ويقول الفقير إلى ربه الباري محمّد طاهر ابن الشّيخ السّيّد محمّد لاله زاري كان الله لهما ولمن كان لهما. إنّي قد حرّرت بعضًا من الكلام في الزمان الماضي على قول الإمام الرّبّاني علم الهدى علّامة الورى أبي منصور ماتريدي تغمّده الله تعالى برضوانه وأثابه بالثّواب الأبدي. وهو قوله في التّأويلات عند قوله تعالى في فاتحة الكتاب من الآيات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾:

فهو –اللّه أعلم بمراده– على إضمار الأمر: "قل". ثمّ لم يجعل له أن يَستثني في القول بل ألزمه القول بالقول فيه. ثم هو يوجه بوجهين:

أحدهما: يحال القول به على الخبر عن حاله؛ فيجب أن لا يستثنى في التوحيد، وأن من يَستثْني فيه عن شَكٍّ يُستَثْنَى. واللّه تعالى وصف المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ...﴾ [سورة الحجرات، 15/49] وكذا سئل رسول اللّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– عن أفضل الأعمال فقال: «إيمان لا شكّ فيه».[113] إذ المذاهب لا تعتقد لآن وآت بل للأبد. لذلك لم يجز الثُّنْيَا فيه إلى الأبد وبالله التوفيق.[114]

ثمّ ضاع عنّي ذلك التّحرير من التّعليق فلم أجد إلى الإعادة سبيلا ولا إلى ما يشَوِّقني إلى التسطير والتّنميق دليلا إلى أن بلغ تاريخ الهجرة النّبويّة شهر ربيع الآخر السّنة اثنى ومائتين وألف. فلمّا أدركتُ بعون الله تعالى الوقتَ المذكور شرعتُ في تحريره ثانيًا وعلى تيسير الله تعالى لي عليه ثانيًا. قال الإمام الماتريدي تغمّده الله تعالى برضوانه الأبدي:

قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ –الله أعلم بمراده– على إضمار الأمر وهو "قل". ثمّ لم يجعل له أي للقائل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أن يَستثني بأن يقول العبد نعبد إيّاك إن شاء الله تعالى في القول في قوله نعبد إيّاك بل ألزمه ألزم القائل القول قولَه إيّاك نعبد بالقول فيه بالحكم فيه من غير اقتران بالتعليق بالمشيئة. والإلزام يفهم من تقديم المفعول. فإنّه يعطي الحصر ثم هو أي ذلك الإلزام أو القول به يوجه بوجهين: أحدهما: يحال القول به على الخبر عن حاله في نفسه وضميره. و"على" متعلّق بالقول. ولعل المعنى حينئذ أن يقول القائل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حال كونه، لا يَرِد عليه في أثناء هذا القول وارد أصلًا، ولا يلاحظ شيءً من الأشياء إلّا معنى قوله. وإنّما يتقوّم هذا بنفي الخواطر. ولا شكّ أنّ هذا القول حينئذ يكون عينَ التّوحيد لفظًا ومعنًى وحالًا لكون

---

[112] ترميز النّسخ:
نسخة (م)= النسخة المطبوع من مكتبة الميزان.
نسخة (ح1)= نسخة حفيد أفندي تحت رقم 124.
نسخة (ح2)= نسخة حفيد أفندي تحت رقم 130.

[113] م + والثاني: عن الأحوال التي تردد في ذلك. لكنه إذا كان ذلك على اعتقاد المذهب لم يجز الشك فيه

[114] م: إذ المذاهب لا تعتقد لأوقات، إنما تعتقد للأبد، لذلك لم يجز الثنيا فيه في الأبد. وباللّه التوفيق.

التّقديم يعطي الحصر ولكون اللسان مطابقًا[115] للجَنَان ولكون الخواطر منفيّة. ولا شكّ أنّ هذا القول حينئذ ينبِّئ عن ذهول الذّاكر عن الذكر بالمذكور وذهولِ العابد عن العبادة بالمعبود. وهذا معنى قول سيّدي الشّيخ أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبّار الشّاذلي الحسني المغربي قدّس الله سرّه: «كلّا إنّي أسئلك أن تُغيّبني بقُربك منّي حتّى لا أرى وأحِسّ بقُرب شيءٍ ولا ببُعْده عنّي إنّك على كلّ شيء قدير». فهذا أقصى كمال العبادة التي هي أقصى غاية الخضوع والتّذلّل. فيجب أن لا يستثنى في التوحيد الذي هو رأس العبادات حتّى قيل في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ...﴾ [سورة البقرة، 21/2] إنّ حقيقة كمال العبادة تنزيه السرّ عن ملاحظةِ سوى الله تعالى فإنّ من يستثني فيه لا ينحَ عن أمرين:

1- إمّا أن يكون استثناءه لا عن شكّ بل لإحالة الأمور إلى الله تعالى. إذ قال سبحانه ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...﴾ [سورة الإنسان، 30/76؛ سورة التّكوير، 29/81]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾ [سورة يونس، 100/10] أدبًا مع الله عزّ وجلّ أو للتّبرّك بذكر الله عزّ وجلّ لا للشّكّ أو لعدم علمه بحاله في المآل. ومثاله قول الصّائم في حال الصّيام "أنا صائم إن شاء الله تعالى". فهذا الاستثناء لم يكن عن شكّه في كونه صائما، بل للتّبرّك بذكر الله عزّ وجلّ أو أحاله للأمور إلى الله عزّ وجلّ أدبًا مع الله أو لعدم علمه بحاله عند ختم النّهار. فكما لا يُعتبر الصّوم إلّا عند ختم النّهار كذلك لا يُعتبر الإيمان إلّا عند ختم العمر بالتّصديق والإقرار. وإن كان الصّوم عبارةً عن الإمساك من مفطرات الثلاث مدّة نهاره فلم يكن استثناء الصّائم عن شكّه في كونه صائمًا، بل لعدم علمه بما في ختام نهاره. فافهم!

فلأجل هذه الأمور وإن صحّ الاستثناء للقائل المذكور إلّا أنّه يجب له أن لا يستثني فيه. إذ ملاحظة تلك الأمور ينافي كمال الحضور أي حضور العابد الذّاكر عند ملاحظة المعبود المذكور. فإنّ القائل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ سيدعوه تعالى عزّ وجلّ بقوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فمطلوبه من أنواع الهداية النّوع الرّابع على ما ذكره البيضاوي قُدّس سرّه حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ما حاصله «إنّ الهداية تتنوّع أنواعًا. والنّوع الرّابع: أن يكشف عن[116] قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمَنَامَات الصادقة للأنبياء عليهم السّلام والأولياء والصّالحين رضي الله عنهم. فإذا قاله العارف الواصل عنى به: أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك»[117] وقال أيضًا: «أنّ العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولًا وبالذات ثم منه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت عنه بل من حيث إنها نسبة شريفة إليه ووصلة بينه وبين الحق. فإن العارف إنما يحق وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عمّا عداه حتى إنه لا يلاحظ نفسه ولا حالًا من أحوالها إلا من حيث إنها ملاحظة ومنتسبة إليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حيث قال: ﴿... إن الله معنا ...﴾ [سورة التّوبة، 40/9] على ما حكاه عن كليمه حيث قال: ﴿... إن معي ربي سيهدين﴾[سورة الشّعراء، 62/26]»[118]

2- و إمّا أن يكون استثناءه عن شكّ وأن من يَستَثْني فيه عن شَكٍّ يُستَثنَى بصيغة المجهول أي عن زمرة الموحّدين المؤمنين. والله تعالى وصف المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ...﴾ [سورة الحجرات، 15/49]. قال

---

[115] ح1 + مطابقا

[116] ح1 : على.

[117] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1418 ه، 30/1.

[118] البيضاوي، أنوار التّنزيل، 29/1.

البيضاوي قُدّس سرّه: «و ﴿ثمّ﴾ للإشعار بأنّ اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس حال الإيمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله: ﴿ثمّ استقاموا﴾»[119]. وكما سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن أفضل الأعمال فقال: «إيمان لا شكّ فيه».

والوجه الثّاني في أنّه لم يجعل له أن يستثني فيه أيضًا عن الأحوال التي ترد في ذلك[120] في أثناء قوله ﴿إيّاكَ نَعْبُدُ﴾ لكنّه ينقسم إلى قسمين: قسم من قبيل التّصوّرات، وقسم من قبيل التّصديقات. أمّا القسم الأول فلا يتعلّق به الاستثناء. إذ لا حكم في التّصوّرات. وأمّا القسم الثّاني فعلى نوعين: نوع من قبيل النّيات على الطّاعات أو على المعاصي، ونوع من قبيل الانتحال بالمذهب. أمّا نوع الأوّل فلا معنى لجواز الاستثناء فيه. وأمّا نوع الثّاني فقد أشار إليه بقوله لكنّه إذا كان ذلك الوارد ناشئًا عن اعتقاد المذهب بأن ينتحل به القائل لم يجز الشّكّ فيه أيضًا. إذ المذاهب لا تعتقد الآن وآت بل إنّما تعتقد للأبد لذلك لم يجز الثُّنيا فيه إلى الأبد وبالله التوفيق.

جلاء مرجانه نفسٍ لا يقال عدم العلم بعواقب الأمور ينافي العزم على الأبد. فكيف يُتصوّر والعزم على الدّوام والأبد في المذهب؟ إذ قال تعالى: ﴿... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ...﴾ [سورة لقمان، 34/31] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء»[121]. ولهذا نرى قومًا من المعتزلة صاروا أشعريًا وقومًا من الشّافعيّة صاروا حنفيًا.

صفاء درّه عقل لأنا نقول عدم العلم بما في المآل لا ينافي العزم على الدّوام في الحال. ألا ترى أنّ التّوبة عن الخمر مثلًا لا يتحقّق بدون العزم على أن لا يعود إليه. والتّائب لا يعلم ماذا يكسب غدًا. فافهم! وبالله التّوفيق. فإن قيل: فإذا صار العبد إلى ذلك المقصد الأقصى يغيب عن نفسه. إذ كان ظهور سلطان الحضور بملاحظة الحقّ عزّ وجلّ يُزيلُ سلطانَ شهود العابد بنفسه وشهوده بذاته فحينئذ يرفع القلم عنه. فكيف يثاب بالحسنى بالكسب بالعمل؟ إذ لا كسب هناك. إذ كانت إرادته مضمحلّةً تحت إرادة الحقّ عزّ وجلّ، فكيف يُتصوّر من هو في أقصى غايته العبادة التي هي أقصى غاية الخضوع والتّذلّل بلا ثواب؟ قلنا: الجواب بالزبرجدة الخضراء واللؤلؤة الأصفى. أمّا الزّبرجدة الخضراء فهي مبنيّة على مسلك المتكلّمين والفقهاء. وأمّا اللؤلؤة الأصفى فهي مبنيّة على مسلك المحقّقين من الصّوفيّة.

الزّبرجدة الخضراء وهي أن ثواب مَن هذا صفته كثواب النّائم حين نومه مع كونه مرفوع القلم.[122] فإنّ الشّارع جعل لتصديقه حكم البقاء عند نومه. فجعل لنومه حكم التّصديق والإقرار لكونه مصدّقًا قبيل النّوم وحين الدّخول في النّوم. ولهذا كان النّوم على الوضوء[123] مستحبًّا. فكذا هذا العابد قبل وصوله إلى الفناء في الفناء كان مشاعرًا بشروعه في العبادة والذّكر فيثاب لهذا. وفيه تأمّل.

اللؤلؤة الأصفى قال الوارث المحمّدي قُدّس سرّه في مواقع النّجوم ما حاصله أنّه لا ثواب للصّدّيقين فإنّ الله برّأهم عن العوض والأجرة. وإنّما الثّواب للعارفين الذين رغبوا في درجة الشّهداء والصّالحين. ودرجة الصّدّيقين فوق درجتهما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ...﴾ [سورة المائدة، 83/5] أثبت لهم مقام العرفان وأمّا الصّدّيقون فلهم مقام العلم و لم يقل سبحانه ممّا علموا ﴿... يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة المائدة، 83/5] هذا رغبتهم في درجة الشّهداء ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ

---

[119] البيضاوي، أنوار التّنزيل، 138/5.

[120] م: عن الأحوال التي تردّد في ذلك

[121] لا يوجدالحديث بنفس الكلمات. لكن نظيره انظر: صحيح مسلم، قدر 3؛ سنن بن ماجه، مقدّمة 3؛ سنن الترمذي، قدر 28.

[122] إشارة إلى الحديث الذي ذكر رفع القلم أي رفع مسؤوليات الأعمال. أنظر: سنن الترمذي، حدود 1؛ أبو داود، حدود 16.

[123] ح2 : الضّوء.

وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة المائدة، 84/5] وهذا طمعهم في درجة الصّالحين ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّات ...﴾ [سورة المائدة، 85/5] وهذا[124] إثبات الثّواب للعارفين من حيث عرفانهم من الجنّات واللّذّات الحسّيّة والعقليّة. ولا شكّ إنّ درجة الصّدّيقيّة فوق درجة الشّهادة والصّلاح ودون درجة القربيّة الفرديّة التي هي بين درجة النّبوّة ودرجة الصّدّيقيّة عند الشّيخ قَدّس الله سرّه. ودون درجة النّبوّة وفوق درجة الشّهادة عند حجّة الإسلام الغزالي قَدّس الله سرّه إذ لا درجة عند حجّة الإسلام الغزالي قَدّس الله سرّه بين النّبوّة والصّدّيقيّة بخلاف الشّيخ قُدّس سرّه. فإنّ بينهما عند الشّيخ قُدّس سرّه درجة الفرديّة والقرب. أثبتها في كتاب الفتوحات وفي كتاب القرب. فإن قلتَ: لأيّ سرٍّ لم يكن للصّدّيقين الثّواب من حيث صدّيقيّتهم؟ قلنَا: لما رمزناه[125] إليك آنفا من انّ الثّواب عوض وأجرة للعمل. والصّدّيقون عبيد محض. لا يعملون لرجاء الجنّة ولا لخوف النّار. بل إنّما يعملون لمرضاة الحقّ ولمحبّته لكونه جلّ اسمه مستحقًّا لأنْ يُعْبَدَ لوجوبه الذّاتي وكماله الأزليّ الأبديّ فهم ليسوا بأجراءَ. قال لهم ربّهم "اعبدوني" فعبدوا من أجل أمره تعالى إيّاهم بقوله ﴿اعبدوا﴾ [سورة يس، 61/36]. فمطلوبهم ليس إلّا هو. والثّواب من جنس ما سوى الله. وليس مطلوبهم إلّا الله عزّ وجلّ. فافهم ذلك بخلاف العارفين. فإنّهم أهل الثّواب والحسنى. وأمّا الصّدّيقون فهم أهل الزّيادة. وما لكلّ[126] محسن للذين أحسنوا الحسنى والزّيادة. فإن قلتَ: ما الزّيادة؟ ؟ قلنَا: هو الرّضاء الدّائم ورؤيته تعالى. فإن قلتَ: فهذا داخل في اللّذّات العقليّة؟ قلنَا: تلك الزّيادة ليست بلذّة عقليّة تدرك بطور العقل، بل لذّة روحانيّة مقدّسة تدرك بطور القلب والفؤاد، وهو فوق طور العقل. يشير إليه قوله تعالى ﴿... ذَلِكَ ذِكْرَى ...﴾ [سورة هود، 114/11] لَمن كان له قلب. وقد بيّن هذا الطور حجّة الإسلام الغزالي وعبّر عنه بطور النّبوّة أي طور يدرك به خواصّ النّبوّة في بعض كتبه كــــــــــــــــ"المنقذ" و"الإحياء" و"أصول الأربعين" و"جواهر القرآن". فافهم!

هديّة: فإذا أيقنتَ ما قلناه لك من أنّ لذّة الرّؤية ليست بلذّة عقليّة تُدرك بطور العقل، بل لذّة روحانيّة مقدّسة تدرك بطور القلب والفؤاد انكشف لك سرّ قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [سورة النّجم، 11/53]. ولأيّ سرٍّ أُضيفتْ الرّؤيةُ ونُسبت[127] إلى الفؤاد. فتبصّر!

إنارهء فهم: كلّ صدّيق عارفٌ وليس كلّ عارف صدّيقًا. فللصّدّيقين من جهة عرفانهم ثواب الجنّة وما فيها من اللّذّات الحسّيّة والعقليّة. ومن جهة صدّيقتهم الزّيادة. فالصّدّيقون بالجنّة بالعرض وبالزيادة بالذّات فهم أهل الله وسائر المؤمنين بالجنّة بالذّات وبالزّيادة وبالتّبع فهم أهل الجنّة كذا قال بعض أكبار الصّوفيّة فتبصّر فيه.

جعلنا الله تعالى من الذين لهم الحسنى والزّيادة بفضله وكرمه. إنّه على ذلك قدير. الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم البَرّ والصّلوة والسّلام على النّور الأزهر والذّات الأنور النّبيّ المقرّب[128] المسعود الأطهر سيّدنا ومولانا حضرة محمد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم صاحب الشّفاعة والوسيلة والمقام المحمود والحوض الكوثر عليه صلوات الله تعالى وسلامه ما دامت السّماوات. وعلى آله وصحبه وأهل بيته وأزواجه الطّاهرات أمهات المؤمنين وعتوته الطّيّبات رضوان الله عليهم أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

[124] ح2 : هذا.

[125] ح2 : زمرناه.

[126] ح2 : والكلّ.

[127] ح1 – نسبت.

[128] ح2 – المقرّب.